

## الأمثال الشعبية ودورها في ضبط السلوك الاجتماعي

أ. خالد محمد صبح

كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

### تقديم

تعدّ الأمثال الشعبية في أي مجتمع بمثابة رصيد ثقافي وخزان فكري اجتماعي لعناصره، وأكثر من ذلك فهي تحكي بصورة أو بأخرى مختلف فترات حياة هذا المجتمع ومختلف مراحل تطوره، فلا يكاد يمر يوم على الإنسان إلا وقد سمع فيه مثلاً أو أكثر بمناسبة معينة، فالمثل الشعبي مرتبط بالكثير من الأمور كتاريخ منطقة ما وعناصرها الجغرافية ويتعرض في كثير الأحيان لمعتقدات أهلها الدينية والخرافية على حد سواء كما يتحدث المثل عن العادات والتقاليد وكذلك يفسر الكثير من الأحداث الشعبية السائدة، ولما له من أهمية فقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى ليصل إلى ذهن السامع فإن النفس تأنس بالنظير والأشباه وتنفر من الوحدة، فعند تأملك مثلاً لمجالس الميعاد (أو ما يعرف بفض النزاعات) ترى رجالاً منحهم الله الذكاء الفطري واللباقة والخبرة الواسعة في انتقاء الألفاظ والتعبير الملائمة لتلك المناسبة، فكل مقام مقال، فنراهم يتحدثون على سجيبتهم، فنترد الأمثال والحكم والتعبير في حديثهم بطريقة عفوية، فنراهم يبدؤون الحديث بتعابير متعارف عليها خاصة بتلك المناسبات، وينهون الخصومات التي بين أيديهم والكل راضون بما أصدرها من أحكام<sup>(1)</sup>

مما شدنا للخوض في غمار هذا الموضوع واستعراض دور المثل الشعبي في ضبط سلوك الفرد وتنظيم علاقاته المجتمعية؛ فهي تكسب الجماعة شيئاً من ماضيها يكون أداة للضبط الاجتماعي، ووسيلة لإرشادهم وتوجيههم نحو التصرفات والسلوكيات التي تتناسب مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، الأمر الذي يسهم إسهاماً كبيراً في<sup>(2)</sup> رفق المجال التربوي لتكوين شخصية ترتبط بماضيها وحاضرها كما أنها تلقي الضوء على الحالة الاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، والعلمية والإنسانية التي يعيشها المجتمع الليبي وإن كان يبدو من النظرة الأولى لبعض الأمثال ما يناقض بعضها بعضاً، فذلك أمر طبيعي عند ملاحظة الحقب والأجيال والأطوار التي تكونت فيها الحصيلة الثقافية لهذه الأمثال أو تلك، فهي حصيلة ومواد ونصوص ودلائل صنعت عبر أحقاب<sup>(3)</sup> وأجيال وقرون، فهي وليدة قرون وترد على بعض اتهامات النقاد للثقافة العربية والتربية في الوطن العربي كونها فشلتا في الحفاظ على الهوية واتجاهها نحو التغريب وتوسيع هوة الصراع بين الأجيال، وبناءً على ما سبق فإن هذه الدراسة تهدف إلى تشخيص دور المثل الشعبي في الضبط الاجتماعي كما تهدف إلى التعرف على دور المثل الشعبي في التربية وعرض مدلولها الاجتماعي، واعتمدت الأمثال الشعبية السائدة في المجتمع الليبي كمجال مكاني لها، وسنتناول في هذا الطرح المحاور الآتية:

- 1- ماهية الضبط الاجتماعي 2- أنواع الضبط الاجتماعي 3- وسائل الضبط الاجتماعي 4- ماهية المثل الشعبي 5- مصادر المثل الشعبي

6- خصائصه 7- مميزاته 8- الأهمية التربوية والاجتماعية للمثل الشعبي

9- دور المثل الشعبي في ضبط السلوك الاجتماعي

أولاً- ماهية الضبط الاجتماعي:

**الضبط لغةً** لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه يضبط ضبطاً وضباطه، وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، والرجل ضابط أي حازم، ورجل ضابط وضبطي: قوي شديد<sup>(4)</sup>.

إن مفهوم الضبط الاجتماعي مرتبط بالنظام الاجتماعي السائد وما يحمله من قوانين وعادات وتقاليد وقيم روحية ودينية واجتماعية، فهو يستخدم أساليب مادية ومعنوية مختلفة من أجل الحفاظ على كيانه متمثلة في الثواب والعقاب، فكل مؤسسة اجتماعية لها أساليبها من محاكم وشرطة، وتباين أساليب الضبط وأنواعه من مجتمع لآخر ومع هذا فالضبط الاجتماعي قابل للتغيير والتبدل رهناً بالتغير الاجتماعي.

وقد تباينت آراء العلماء في تحديد مفهوم الضبط فهذا العلامة ابن خلدون يقول إن العصبية<sup>(5)</sup> هي أساس الضبط الاجتماعي لأنها تقوي الدولة وتساهم في تطويرها، فهي رادع للخروج النظام الاجتماعي العام، أما ماركس فقد حدد الضبط الاجتماعي من خلال ممارسة الطبقة الحاكمة لسيطرتها واستغلالها للطبقات الأخرى فالضبط الاجتماعي يتم بشكل قسري في كل تلك الأنظمة وكل خروج عنه يعد خروجاً عن السلطة والقانون ويحاسب بكل الطرق شرعية كانت أم غير شرعية، فهو يرى أن الضبط الاجتماعي مرهون بالنظام الاقتصادي السائد وطبيعته، فهو عبارة عن كيان واحد مرتبط

ببعض وله مصالح وأهداف واحدة تجبر أبناءه على الانصياع لأوامره وتطبيق قوانينه والالتزام بمعاييرها .

ويرى دوركهايم أن العقل الجمعي هو أصل المعرفة والقيم والمثل، وهو من محددات السلوك لدى الأفراد فهو يصنع القوالب التي يصب فيها أفراد المجتمع أفكارهم، فهو يمثل عملية الضبط الاجتماعي إضافة إلى طرح طرح فكرة القسر والإلزام الذين تتمتع بهما الظاهرة الاجتماعية، أما فيبر فيرى أن النظام البيروقراطي وما يحمله من قوانين ولوائح وأنظمة هرمية تجعل من القرار بأيد الرؤساء والقادة وعلى الأفراد الانصياع لتلك القوانين ولقاداتهم، كما يتجلى ذلك في تحليله لمفهوم السلطة وتتبعه لها في محيط الأسرة والمدرسة والطبقة الاجتماعية والهيئة السياسية، فقد صنف الضبط بناءً على موقف السلوك الاجتماعي منه فهو قد يتسم بمظهر العرف أو العادة أو التقليد السائد في المجتمع، وقد يكون منبعثاً من السلطة القائمة على نوع المرتكزة على دعامة عاطفية أو أيديولوجية فكرية (6).

أما رؤية تالكوت بارسونز للضبط الاجتماعي فترتكز على القيم المعيارية والأعراف والتقاليد في كل مجتمع، وعلى مكونات النسق الاجتماعي التي تدعم التوازن والامتثال وتدفع الانحراف والفوضى، فالعيب بقوانين المجتمع يجعل الفرد عرضة للعقاب (7).

يؤكد سمنر أن الأعراف والعادات الشعبية هي التي تنظم السلوك، فهي ضوابط يستخدمها الأفراد من دون وعي منهم، ونلاحظ إن الفكرة الأساسية تنصب على العادات الشعبية التي تُعدّ من وجهة نظره الصفة الرئيسة للواقع

الاجتماعي التي تعرض نفسها بطريقة واضحة في تنظيم السلوك، إذ أنها تعمل على ضبط التفاعل الاجتماعي في حين كولي يرى أن الضبط الاجتماعي هو " تلك العملية المستمرة التي تكمن في الخلق الذاتي للمجتمع أي إنه ضبط يقوم به المجتمع، فالمجتمع هو الذي يضبط وهو الذي ينضبط في نفس الوقت وبناء عليه فإن الأفراد ليسوا منعزلين عن العقل الاجتماعي، أما لانديز فيرى مؤسسات الضبط الاجتماعي تعمل على تحقيق التوازن والاستقرار في المجتمع، فالمنظور الوظيفي إذن يقوم على مسلمة أساسية ألا وهي أن المجتمع نسق نظامي متكامل وأن ثمة ميكانيزمات ضبط تعمل على تحقيق التساند والتوازن داخل النسق ويضطلع النسق بعدد الوظائف التي تعمل من خلال أهداف مشتركة أذ تُعدّ القيم مصدرا أساسيا لتوجيه السلوك وضبطه<sup>(8)</sup>.

#### ثانيا- أنواع الضبط الاجتماعي :

1- ضبط داخلي: ينبع من داخل الإنسان كالقيم والعادات والتقاليد والمعايير الأخلاقية والاتجاهات أي أن الضبط الداخلي هو الضمير الذي يوجد في داخلنا.

2- ضبط خارجي: ويتمثل في القوانين والتشريعات التي تضعها المجتمعات حديثة التنظيم، وتتولى الجهات الرسمية للدولة مهمة تطبيق هذه القوانين واللوائح ويتعرض من يخالفها لعقاب المجتمع، وأهم المؤسسات التي تستخدم هذه الضوابط الحكومة والضمان الاجتماعي.

- 3- ضبط اجتماعي رسمي: هذا النوع من الضبط نجده في نظم المجتمع المختلفة كالنظام التربوي والنظام الأسري والنظام الاقتصادي ... الخ
- 4- ضبط اجتماعي غير رسمي: يظهر هذا النوع من الضبط الاجتماعي في المجتمعات بصورة تلقائية، ومن أمثلتها نقل الأخبار والشائعات اللوم والتهديد بالحرمان، وهذا النوع من الضبط الاجتماعي نجده في الجماعات الأولية كالأصدقاء<sup>(9)</sup>.

#### ثالثاً- وسائل الضبط الاجتماعي:

هي طرق وممارسات تتحكم في سلوك الأفراد وتعمل كقوى تجبرهم على الخضوع للمعايير الاجتماعية، فكل مجتمع له وسائل ضبط تنظم حياة أفرادهِ وتتحكم طرق معاملاتهم وسلوكياتهم، وفي ما يأتي عرض لأهم الوسائل:

الدين: من أهم وأقوى الوسائل الاجتماعية الفاعلة في ضبط وتنظيم وتحديد سلوك الأفراد والجماعات وفي حفظ المجتمع وضمان استقراره، فوظيفة الدين هي تأكيد سمو الأخلاقي للمجتمع وسيطرته على الأفراد، ومن ثم تحقيق التضامن الاجتماع<sup>(10)</sup>.

القانون: وهو الآلة الرادعة للتجاوزات والاعتداءات على أفراد المجتمع ويعد الوسيلة الناجعة للضبط الاجتماعي لأنه يعبر من خلال بنوده عن الأحكام الرادعة وفرض عقوبة على الخارجين على حدود المجتمع<sup>(11)</sup>.

التربية: تعتبر وسيلة يلجا إليها المجتمع لزرع أنماط الثقافة في الفرد وتهدف إلى تحقيق انضباط سلوك الفرد وفقاً لمتطلبات الحياة الاجتماعية، فهي تمثل

ظاهرة اجتماعية إلزامية وضرورة حيوية للجماعة، إذ يشعر الفرد إنه مترابط بنائيا ووظيفيا بالمجتمع، وتركز على عمليات التفاعل الاجتماعي بين الفرد ومحيطه الثقافي لمكوناته المختلفة من أفراد وجماعات وأنماط سلوكية وأنظمة اجتماعية<sup>(12)</sup>.

**العرف:** ويشمل المعتقدات التي تسري بين الناس، وهم يشعرون أن هذه المعتقدات ملزمة لهم وتضغط عليهم، ويستمد العرف قوته من قوة المعتقدات التي تسود فكر الجماعة وقيمها، والتي لا يستطيع الأفراد الخروج عليها ومن بين تلك المعتقدات السارية المثل الشعبي السائد والمتداول في المجتمع<sup>(13)</sup>.

#### رابعاً- ماهية المثل الشعبي:

**المثل لغة:** المثل بفتح الميم والثاء بمعنى النظر، ثم نقل منه إلى القول السائر: أي الفاشي الممثل مضربه بمورده، وجاء في لسان العرب "المثل كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال: شبه وشبهه بمعنى، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله كما جاء في مختار الصحاح: "مثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله<sup>(14)</sup> ومثله، كما يقال: شبه وشبهه، والمثل ما يضرب من الأمثال، ومثل الشيء أيضا بفتحيتين<sup>(15)</sup>"

وعرفه صاحب تاج العروس<sup>(16)</sup> فقال: "المثل بالكسر والتحرير، كأمر الشبه، يقال هذا مثله ومثله، كما يقال شبه وشبهه... والمثال بالكسر: المقدار، وهو من الشبه والمثل، جعل مثلاً أي مقداراً لغيره يحذى عليه، والجمع أمثلة ومثل وقد جاء في المعجم الوسيط عند مادة مثل: "والشيء ضربه مثلاً<sup>(17)</sup>، . يقال هذا البيت مثل نتمثله، ونتمثل به، والمثل....جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسله بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة من دون تغيير مثل: الرائد لا يكذب أهله، والجمع منه أمثال. وذكر ابن العربي" المثل بفتح الميم والثاء، والمثل بكسر الميم وفتح الثاء عبارة عن تشابه الأشخاص المحسوسة، وقد يدخل أحدهما على الآخر. وفي المعاني السابقة نفسها تقريباً جاء تعريف جمهرة اللغة" المثل النظير والمثل السائر معروف من الأمثال وجمع مثل أمثال وكذلك مثل.

**المثل اصطلاح:** لقد وقعت عدة محاولات لتعريف المثل منذ أقدم العصور، وذلك وفق ما يراه المعرف من شيوخ الأمثال وتداولها بين الناس، وهناك الكثير من التعريفات التي تحدثت عن الأمثال وحاولت تعريفها، ومنها: عرفها ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد فقال "إنها وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، تخيرتها العرب، وقدمتها للعجم، ونطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أشرف من الخطابة، وأبقى من الشعر، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل؛ أما أبو الحسين بن وهب فقد عرف المثل في كتابه "البرهان في وجوه البيان" فقال: "وأما الأمثال، فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون



الأمثال، ويبيّنون للناس تصرف الأحوال، بالنظائر والأشباه والأمثال، ويرى هذا النوع من القول أنجح مطلباً، وأقرب مذهباً... ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها، وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش، وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها، وقد نقل إلينا السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة" بعض أقوال العرب في المثل، ومن ذلك: قال أبو عبيد: الأمثال حكمة العرب<sup>(18)</sup> في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم، وتمثل بها هو ومن بعده من السلف<sup>(19)</sup>، ونقل عن الفارابي في ديوان الأدب: "المثل ما تراضوه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتلوه فيما بينهم<sup>(20)</sup>، وفاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، ونقل السيوطي عن المرزوقي في شرح الفصيح "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلّة بذاتها، تتسم بالقبول<sup>(21)</sup>، وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبها الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، أما ابن السكيت فقد عرف

**المثل فقال:** "المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه، معنى ذلك اللفظ"<sup>(22)</sup> **وجاء في تعريف العمدة للمثل:** "المثل سمي بذلك لأنه مائل لخاطر الإنسان أبداً يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر..."<sup>(23)</sup>، وفيه ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، وحسن التشبيه: **والمثل الشعبي:** هو موروث اجتماعي ثقافي يتم تداوله بين أفراد المجتمع لتشبيه شيء بشيء مثله ويتميز بالاختصار والتنظيم وجاذبية التصميم ودقة الأسلوب والبلاغة فهو يحمل أبعاداً وقيماً تربوية اجتماعية.

#### خامساً- مصادر المثل الشعبي:

تتعدد مصادر المثل الشعبي فمنها ما تفرزه حادثة أو حكاية حيث تلخص خبرة حياتية أو موقف في تعليق موجز، وقد وجد سبيله في البلاغة العربية فيما عرف بالاستعارة التمثيلية فهو يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين راهنة يستعير فيها القول المتمثل به وأخرى صدر عنها ذلك القول فهو إشارة موحية عن خبرة حياتية سابقة ويمكن تلخيص تلك المصادر في:

- 1- ما استمد من حكاية وفيها يستعمل الناس المثل وقد لا يعرفون تفاصيل الحكاية أو الحادثة التي وراءه وإنما يتعاملون مع الإيحاء العام لعبارة.
- 2- ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو بالتغيير الطفيف نحو (العين ما يملأها غير التراب) فهي تعبير عن المثل المعروف (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه).
- 3- ما استمد من كتاب الطب الأدبي نحو (دوا الناب مغير الكلاب).

- 4- ما استمد من الأغاني الشعبية نحو ( عامين شبح بالعين و عامين ضرب المعاني ).
- 5- ومنها ما هو نتاج عصارة تجارب وممارسات سابقة، وهذا النوع يدخل ضمن تجارب الطب الشعبي التقليدي نحو ( ما يكسب المجنونة غير المجنون، وما يذبح المكسورة غير المكسور) يشير إلى الشاة هنا.
- 6- ما يحمل بصمات معتقدات قديمة نحو ( هرب من الغولة طاح في سلال القلوب).
- 7- كذلك منها ما يحمل ملاحظات دقيقة للنفس البشرية نحو ( من معرفته في القاضي سلم على شيخ اليهود).
- 8- منها ما ينتج عن التعامل مع شعوب وثقافات أخرى.
- 9- منها ما يقوم على غرس القيم النبيلة وتوقير الصغير للكبير نحو (اللي سابقك بليلة غالبك بحيلة ) وإخوانا في مصر يقولون ( من فات قديمه تاه ) أما عن مضمون الأمثال الشعبية فهي تنتمي إلى أحد المضامين الثلاثة الآتية : إما مضامين قيمية كالتعبير عن موقف من بعض مسببات الأمراض وأكثر ما تكون مرتبطة بعادات الغذاء نحو ( تغدى وتهدى ولو عليك الدين وتعشى وتمشى حتى خطوتين )، أو وصف لبعض أنواع الآلام ومحاولة تقدير شدتها، وأخير بعضها يحمل مضامين تهكمية نحو ( اللي اديره العمشة ياكلوه ضناها، ما شبعه الرفيس بيثبعه اللحيس).
- كما تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأمثال ما يدعو إلى العنف وربما يكون منافيا لما تنادي به الشريعة الإسلامية وبما أننا لسنا بصدد هذا

الطرح سنقتصر على ضرب بعض هذه الأمثال من دون الغوص في هذا المجال كنحو (تعلم الحجامة في روس الينامي، هم البنات للممات، شاورها وما تاخذش رايتها يشير إلى المرأة هنا، قوم النسا بالنسا والبقر بالعصا، أنا وخوي على بن عمي وأنا بن عمي عالغريب) خلاصة القول إنه ليس كل ما هو متوارث من التراث الشعبي يمكن أن يحتذى به، فهي أقوال بشرية تحمل الصواب والخطأ ومنها ما هو تربوي هادف ومنها ما هو مفسد محرض على العنف وغيره.

#### سادساً- خصائص المثل الشعبي :

- **الأصالة:** تعد الأمثال متأصلة الجذور بمعنى آخر عربية المنشأ، وهي لا تنطق بلفظها الفصيح إنما تقرأ بعد العديد من التعديلات والتحريفات في معانيها وألفاظها وأسباب قولها عن أصلها العربي ولعل البعد الزمني سر ذلك الاختلاف.

- **الواقعية:** تمتاز الأمثال بواقعيته؛ فالمثل يعد ترجمة للحياة الواقعية والسلوكيات والخبرات الحياتية التي اكتسبها من الحياة اليومية، لذا فالناس يرددونها في مواقفهم المختلفة من حياتهم.

- **البلاغة:** تمتاز الأمثال بإيجاز اللفظ وتركيز المعنى ودقته وبعد مغزاها.

- **الموسيقا:** لا تخلو الأمثال من الرشاقة اللفظية، فنجد فيها الجرس الموسيقي والتناغم في الألفاظ والتناسق في الجمل والتجانس في الأحرف.

### سابعاً: مميزات الأمثال الشعبية:

تتميز الأمثال الشعبية بالمميزات الآتية:

- تتميز الأمثال الشعبية بأنها تتبع من كل طبقات الشعب، وأمثال كل أمة مصدرها، جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي، يستطيعون منها أن يتعرفوا على كثير من أخلاق الأمة يصيغ منها مادته وفي ضوئها يخطط للتربية، ومنها يستقي بعض أهدافه التربوية وهي مصدر من مصادر الفلسفة التربوية للمجتمع.

- الأمثال الشعبية تعلمنا الحياة تعليماً مباشراً لأنها تختصر فصولاً من الفلسفة في كلمة عملية تبسطها للخبرة الإنسانية من أهميتها التربوية، مما يجعل استخدامها في التعليم والتربية أمراً ميسوراً.

- تُعدّ الحكم والأمثال حقائق اجتماعية أخلاقية قائمة في المجتمعات البشرية يأخذ بها الأفراد ويخضعون لها في معاملاتهم بعضهم مع بعض، فهي نوع من السلطة الأدبية التي لها تأثيرها في عقلية الناس وتصرفاتهم، ومن ثم تمثل إحدى وسائل الضبط الاجتماعي التي تحتاج إليها التربية.

كما تجدر الإشارة هنا إلى بصمة البيئة على الإنسان وارتباطه بها، فيرى ذلك جلياً في أشعار العرب وأمثالهم، وإن ما دعانا لعرض دور البيئة في المثل الاجتماعي هو أن أغلب الأمثال تكاد تكون نفسها في سائر البلاد العربية، بل والعالم أجمع؛ اللهم إلا تغيير طفيف يحمل صبغة البيئة المجتمعية السائد فيه المثل وعلى سبيل المثال لا الحصر تجد أهلنا في الغرب الليبي يقولون (كل قط في عين بوه غزال) أما أهل مصر مثلاً فيقولوا (كل قرد في

عين أبويه غزال) ويقول أهلنا هنا عن الجليس (اعرف ولدك من رفاقته) وفي اليمن يقولون (من جالس جانس) بل حتى وإن ذهبنا لشعوب أخرى فنرى المثل هنا يكاد يتشابه مع المثل في إنجلترا نحو (الغارق يتعلق بقشة) تجد مقابلها (الغريق يتعلق بحبال العرمت)<sup>(24)</sup>، عند الشعب الانجليزي وهي تحمل نفس المعنى، وهامم الروس يقولون (من يلسعه اللبن ينفخ في الماء البارد)، وهذا يقابله المثل عندنا (الملدوغ يخاف من الحبل) في حين يقول أهلنا في مصر (اللي يتلسع م الشوربة ينفخ في الزبادي)<sup>(25)</sup>، وربما كاد يكون نفس المثل مع اختلاف الطرح فيقول المثل اليوناني (خذ الحكمة من أفواه المجانين)<sup>(26)</sup>، ويقابله مثل عندنا (خذ الحكمة من روس الفكارن) أهلنا في ليبيا (خل بلا فلوس أحلى من عسل) فأهل فلسطين يقولون (شوا حلى من العسل قال الخل بلاش)<sup>(27)</sup>.

#### ثامناً- الأهمية التربوية والاجتماعية للأمثال الشعبية:

تحمل الأمثال الشعبية على الرغم من بساطتها عمقا تربويا واجتماعيا، لأنها تلخص خبرات الأجيال، والمثل سواء أكان في معناه الظاهري المسجل للحدث أو بمعناه الباطن الذي يشتمل على الموعظة والحكمة، فإنه مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب، فهو كما قيل تراث العامة والخاصة وهو أحد مكونات الشخصية الأدبية العربية، وهو ملمح من ملامحها الأصيلة<sup>(28)</sup>، وتقدم مضمون هذه الخبرات للممارسة الفعلية لأنماط الفعل الاجتماعي بصورة ميسرة، وتشتمل هذه المضامين على مضامين سياسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية، تسهم في العملية التربوية وأنه مما يزيد من الأهمية

التربوية والاجتماعية للأمثال الشعبية عن غيرها من المأثورات الشعبية الأخرى أنها ألصق أنواع الأدب الشعبي بالناس، وأقربها إلي عقولهم لأنها بالدرجة الأولى عطاء شعبي وإنتاج شعبي يتصل بالممارسة اليومية، ويصدر عن الفطرة الطبيعية والبداهة ويجمع بين المألوف والمتعارف عليه ويتحاشى الغموض ويعرض الحقائق.

#### تاسعاً - دور المثل الشعبي في ضبط السلوك الاجتماعي :

الأمثال أقرب ما يستجد به الفرد لإثبات صحة الحديث، فهو لا يزال عنصراً حسم للنقاش، وأقوى ما يستطيع أن يدلي به الناس لدعم وجهة نظرهم، لأنه يكون بمثابة العرف الذي اتفق عليه الناس في أقوالهم، والمثال الذي لا يجوز أن يشذ عنه إنسان، وعلى الرغم من إنها في الغالب أقوال مجهولة ولا يعرف قائلها، وتتناول ضروب الحياة المختلفة، بما تتضمن من حكمة بالغة، وصور ساخرة، وتعبيرات صادقة، نابغة من تجارب الأقدمين، في تعاملهم مع أنفسهم ومع الغير؛ فهي تشمل مختلف التصورات الممكنة، تتحدث عن الغنى والفقر، والشرف والخزي، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والعظمة والوضاعة، والشجاعة والجبن، والكرم والبخل، إنها من الناحية العملية تريح النفس، فتسخر وتمدح، ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكاراً جادة، فهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة، والحكمة الجادة، والسخرية اللاذعة. وإن كانت تحمل على الشيء وضده، فيجد فيها الناس ما يرغبون من صور ولو كانت متناقضة، ومع ذلك فهي ذات قيمة تهييبية، وإنسانية كونها تتكرر بصيغ مختلفة في مختلف الثقافات تصل إلى حد

الإلزام، فمن اللحظات الأولى للتنشئة الاجتماعية يتلقى الأولاد مجموعة من المعايير تدلهم على الصواب، وتنهاهم عن الخطأ، في البيت أولاً ثم في المدرسة والمجتمع، في هذه المرحلة التكوينية، تتوحد بمنتهى الدقة والتماسك كل الجوانب النفسية والعقلية للعادات أو طرق التصرف وطرق التفكير، قد يقاوم الصغار تعاليم وإملاءات الكبار، لكنهم يعجزون عن مقاومة النظام الذي تتبعث منه هذه التعاليم، ذلك أنهم لا يعرفون نظاماً أخرى، وليس أمامهم إلا ما يعرض عليهم<sup>(29)</sup>، وهو ينتقل إليهم عن طريق اللغة وتركيباتها واستعمالاتها وتعبيراتها المليئة بالعواطف، لذلك هم لا يستطيعون التكلم أو التفكير إلا في حدود ما تقبله الثقافة السائدة حولهم، وقد أشار "دور كايم" إلى خاصية القهر والإلزام فيما أسماه بالعقل أو "الضمير الجمعي" والذي جعل منه "فكرة قاهرة" متحققة في ذاتها، خارجة عن إرادة الأفراد المكونين للجماعة من ناحية، ومرتبطة بفكرة القداسة من ناحية أخرى، إذا فالأمثال لمجموعة من الملاحظات كونها الناس نتيجة خبراتهم في مختلف مجالات الحياة؛ فمنها ما يتضمن النصائح والحكم ومنها ما يتضمن الأسباب أو التفسيرات لسلوك معين ومنها ما يضع شروطاً مسبقة للحصول على نتائج سلوكية معينة، فاستعمال المثل في الموقع المناسب يدل على فهم صحيح له، وعلى استيعاب غير مباشر للتراث الثقافي الذي نشأ فيه الفرد، كما يدل استعمال المثل على التزام الفرد باتجاه معين<sup>(30)</sup>. كما أشار كل من (بلدوين ومكدوجل) إلى الإحساس الذاتي للطفل من إلقاء الضوء على الأشخاص الذين غالباً هم أفراد الأسرة، وبعد ذلك يحدث أخذ وعطاء بين الفرد وبني جنسه



عن طريق المحاكاة، وأضافا بتعبيرهما أن الفرد من خلال محاكاة تلك النماذج يخضع إلى حد كبير لبعض القيود على حرية تصرفاته إذ أن الطفل يتعلم من الأشخاص الذين يحاكيهم أو يقلدهم القيم الدينية و الخلقية وما هو ممدوح وما هو مذموم لدى الجماعة إلى غير ذلك من المعارف الممثلة في المعايير الاجتماعية<sup>(31)</sup>.

كما أن المثل الشعبي يؤدي وظيفته بأبعاده المختلفة التي تتعلق بحياة الناس في المجتمع الواحد، وتكمن قيمة الأدوار التي يضطلع بها في الفوائد المعرفية التي يمكن أن يستفيد منها الأفراد والجماعات في مجالات الحياة المختلفة، حيث يسهم في ترسيخ الميول الروحية وفي مجال التربية الوطنية والمجال الاقتصادي والتنشئة الاجتماعية<sup>(32)</sup>، فالأمثال الشعبية مرتبطة بوظيفة اجتماعية تحمل المفاهيم ذات الصلة بالبعد الاجتماعي التنشئة الاجتماعية.

إذا استعرضنا أثرها في التربية أي الأمثال الشعبية فقد أكدت مجمل الأمثال على الحزم في التربية بغية التهذيب والتقويم كما حذرت من فساد التربية لأي سبب كان<sup>(33)</sup>.

**خلاصة القول:** إن المثل الشعبي وعاء لغوي ومصدر من مصادر اللغة، فهو يحمل شواهد نحوية وبلاغية متميزة بجانب القرآن الكريم والحديث المفسر والشعر، لذا فهو ذو أثر كبير وعلاقة بالوظائف الاجتماعية كوسيلة للاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع ومن هذه الوظائف :

- تصوير الحياة الاجتماعية ورسم معالمها.

## الأمثال الشعبية ودورها في ضبط السلوك الاجتماعي

---

- المساعدة في تحديد ورسم معالم حياة السابقين من أفراد المجتمع .
  - الإسهام في التعريف بأخلاق وعادات وسلوك الأفراد والجماعات وطرق تفكيرهم .
  - إظهار أنماط السلوك الفردي والاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد.
  - إظهار القيم الأخلاقية التي تتضمنها العلاقات الإنسانية.
  - 1- تجسيد العادات والتقاليد السائدة في المجتمع .
- ف نجد الأمثال الشعبية قد تكلمت على جميع مناحي الحياة الاجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية حتى وأخلاقية أيضا، بل نقدية وثقافية وتربوية ومن ثم فهي أي الأمثال أوعية أو قوالب تساعد في صقل وتكوين وتوجيه الفرد وتحديد توجهاته واتجاهاته داخل المجتمع الذي ينتمي إليه.

### الهوامش

---

- 1- رحيل الشلطي ؛ ربيعة القلال، الأمثال الشعبية الليبية، مجلس الثقافة والإعلام، طرابلس، ليبيا، 2008، ط1، ص10
- 2- منى كشيك، المضامين التربوية للأمثال السائدة في البيئة الدمشقية، مجلة جامعة دمشق، المجلد30، العدد الثاني 2014، ص203
- 3- علي مصطفى المصراطي، التعبيرات الشعبية الليبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1982، ص10
- 4- عبد العزيز فكرة، أساليب الضبط في المؤسسة التربوية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009، ص5
- 2- ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، ص140-143
- 6- مصطفى كارة، مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1975، ص242-243
- 7- سامية محمد جابر، الفكر الاجتماعي نشأته واتجاهاته وقضاياها، دار العلو العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص151-152
- 8- معن خليل العمر، الضبط الاجتماعي، دار الشروق، ط1، الأردن، 2006، ص47
- 9- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشروق، 2006، ص109

- 10- محمد عبد الله، الدين والضبط الاجتماعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، السعودية، ص 12
- 11- أبو زيد محمود، الشائعات والضبط الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 69
- 12- أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة الحديثة، ط2، القاهرة، 1968، ص 53
- 13- قدي سيف الدين، الرعاية والخدمات النفسية والاجتماعية في مجال الانجراف والجريمة، مكتبة الأسد، سوريا، 2009، ص 151
- 14- ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 616
- 15- الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ص 614
- 16- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994، ص 684
- 17- المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، مجلد 2، ص 854
- 18- معجم الأدباء، مجلد 16، ص 254
- 19- جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط1، مجلد 1، ص 486
- 20- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط7، 1997، ص 325
- 21- الأعلام، الزركلي، مجلد 6، ص 225

- 22 - نفس المرجع السابق، ص 195
- 23- ابن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981، مجلد 1، ص 280
- 24- منى كشيك، مرجع سابق، ص 213
- 25- شادي ناصيف، حكم وأمثال العالم، باللغتين عربية وانجليزية، دارالكتاب العربي، دمشق، سوريا، 210، ط 1، ص 35
- 26- نفس المرجع السابق، ص 124
- 27- معجم الأمثال الفلسطينية، ص 32
- 28- محمد أبو صوفه، الأمثال العربية ومصادرها في التراث، مكتبة الأقصى، عمان الأردن 1982، ط 1، ص 17
- 29- جلال مدبولي : الاجتماع الثقافي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1979، ص 121
- 30- أحمد كامش، الأمثال العربية القديمة: قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، منشورة على الانترنت، 2005، ص 6
- 31- حسن بن علي الشخي، اللامعيارية ومفهوم الذات والسلوك الانحرافي لدى المنحرفين وغير المنحرفين في مدينة الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض 2003، ص 18

32- سمية عبد الكريم، مضمون المثل الشعبي السوداني ودوره النفسي والاجتماعي في التنشئة الاجتماعية، جامعة الخرطوم، السودان، 2009، ص46

33- سمية فالح، المثل الشعبي في منطقة الأوراس، جامعة محمد منتوري، قسنطينة ' الجزائر ، 2005، ص113